المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره ونعوذ به تبارك وتعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خصنا بخير كتاب وأكرمنا بخير رسول وأتم نعمته علينا إذ قال عزّ من قائل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣] ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وكشف الله به الغمة.

يقول رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال رسول الله ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية»[1].

ثم أما بعد،

فقد طرأت لي فكرة هذا الكتاب منذ سنين وعكفت على تجميع صفحاته لتطلعني على صورة تاريخية مضيئة لأمتنا التي تعانى من واقع مظلم بدأ منذ فترة ومازال ممتدا إلى وقتنا الحاضر. ورغم أن تفكيري كان ينحصر قبل الخوض في مرحلة الإعداد للكتاب على عرض تفاصيل حقبة ماضية، إلا أن خضم البحث والتنقيب قد دلني على أوجه التشابه والاختلاف بين مرحلة سابقة وأخرى حالية، وقدم لي مثالا على أن عجلة التاريخ ما تلبث أن تعيد نفسها من جديد. فما أن تتكرر عصور الظلام في تاريخنا حتى تتبعها عصور النور والإيمان والنصر واليقين بالله

(١) حديث شريف.

عزّ وجلّ. ولذلك تبلور عندي الإحساس بأننا في أمس الحاجة إلى أن نعيد لهذا الدين شمسه ولهذه الأمة عزّها، وأنه لن تنصلح أحوال أمتنا الإسلامية إلا بما صلح به أولها ولن تقوم من سباتها إلا بما أيقظها من غفلتها قديما، ألا وهى تلك الروح المتجددة والممتلئة بالحيوية التي أتت بنهضة علمية وانتصارات عملية.

ولذا وجدتني أسقط على واقعنا كافة عوامل النضج الإنساني بما يشمله من جوانب نفسية وإيمانية وعملية. وقد أردتها رسالة أوجهها لذواتنا من أجل العمل على الإصلاح، فعسانى أبين من خلالها العوامل التي لا بد وأن تستقر في عقولنا وقلوبنا لننهض من جديد. كما أجدني مدفوعا بانتمائي لهذا الدين الحنيف إلى سرد وقائع عصر فاضل لأمتنا والذي نصبو إلى إعادته مرة أخرى. وقد تخلل هذا الإسقاط وذاك السرد رد على كثير من المتشائمين وغيرهم من المشككين في المجد الإسلامي والذين ادعوا أن الإسلام ليس إلا حفنة من الرجال خرجوا بالقوة المجردة ليستولوا على ما بأيدي غيرهم. والمتابع لفصول هذا الكتاب سوف يطمئن إلى قوة الحضارة الإسلامية التي بنيت على احترامها للقيم والمبادئ والأخلاق مع العدو قبل الصديق. وبناء على ما سبق، فلقد وفقني الله العلى القدير في تجميع تسعة عشر مسلكا لمهام كبار على مستوى التطبيق العملي والتفاعل مع المعروض.

وأخيرا وليس بآخر، فإني أدعو القارئ إلى إقباله على تناول قضايا العصر بمنظور حكمة الأمس، بالإضافة إلى الأخذ في الاعتبار متطلبات هذا العصر السريع النمط والغنى بالمتغيرات، وذلك حتى نتمكن من العودة إلى قيادة البشرية على أساس الصراط المستقيم الذي هدانا إليه الله تبارك وتعالى، فتنصلح أخلاقنا وأحوالنا وعلمنا وعملنا.

وإني لأسأل المولى العلى القدير أن يتقبل منى هذا العمل على تواضعه وأن يجعل فيه برحمته وليس بأدائي فائدة لمن قرأه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. ياسر أحمد نصر

هذا صلاح الدين

يـــا شـــمس هـــذا الـــدين هـــذا صـــلاح الـــدين

القائـــــد المنـــــصور ولتـــــسألي حطـــــين

يمـــــضي لأمـــــر الله ولـــــه يخـــــط خطـــــاه

والله جـــــل جلالـــــه يهـــــدى صـــــلاح الـــــدين

آه كـــــم نـــــشتاق للوائـــــه الخفـــــاق

ولبأســـــه الخـــــلاق فلتـــــشهد الآفـــــاق

هـــــذا صـــــلاح الـــــدين

المهام المطلوب تنفيذها من خلال قراءة الكتاب

الفصل الأول- التعارف

ولذلك، فقد أردت من هذا الكتاب أن يكون سببا في إيقاظ الشعور بالمهام التي يتعين علينا القيام بها، وهى تتلخص في تسع عشرة مهمة. وعليه، بدءا من الفصل القادم، مطلوب اتباع الدرس العملي المقدم في آخر كل فصل حتى تكون هناك نقلة على المستوى القلبي والشعوري لدى الأمة ككل، عسى الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وينفعكم بما نكتب.

الفصل الثاني- الصعود والهبوط

المطلوب إذن هو أن يتفاعل كل منا مع ما سبق ذكره وأن يسترجع مع نفسه أسباب النجاح والفشل في أمور الحياة الدنيا والآخرة. وتطبيقا لذلك، فمن المفيد عمل جدول لتسجيل المواضيع التي يسعى كل منا لتحقيقها، ويدون في جانب أسباب نجاح أي مشروع والتمسك بها، وفى جانب آخر الأسباب الشخصية للفشل والانحدار بهدف البعد عنها. وذلك كله يكون الغرض منه الشروع في اتباع بداية صحيحة قوامها التمسك بأسباب النجاح والبعد عن أسباب الهبوط لأننا لن نحقق أي انجاز ما دمنا نتبع نفس الأسلوب الذي أدى بنا إلى هذا المنحنى الخطير. ولتبدأ إذن بالبحث عن الأسباب ثم وضعها في جدول بغرض الإبقاء على الإيجابي منها وإصلاح السلبي ، عملا بهذه الدعوة الخالصة لإصلاح شئوننا كلها في الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث- الأمة قبل صلاح الدين

وتذكرة بموقف ميسون، الفتاة الدمشقية، تلح علينا الحاجة لمراجعة أنفسنا بغرض الإقبال على عمل، صغيراً كان أو كبيراً، يكون من شأنه المساعدة في نهو ض الأمة. وليكن ذلك العمل في محيط الأسرة، أو المجتمع، وإنما المهم أن يصب في صالح المسلمين. ورغم صعوبة المهمة إلا أن الأمل معقود على أن ينجح الكثير منا، كما نجحت ميسون، في مساعدة الأمة ولو بشيء بسيط.

الفصل الرابع-الميلاد

ويعد الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا به، خيره وشره، من الأمور التي تعرضنا لها في هذا الفصل. ولذا، فالمطلوب أن نزيد من شعورنا بهذا الجانب الإيماني في حياتنا. ولنا العبرة في نجم الدين أيوب الذي تشاءم لمولد ابنه يوم عزل الأب وطرده من قلعة تكريت، ثم أصبح ذلك الولد... صلاح الدين الأيوبي!

الفصل الخامس- حجر الأساس

فالمطلوب إذن هو إجراء هذا النوع من الاستقراء للذات من خلال وقفة صادقة مع النفس إذا كنا نسعى بالفعل لتربية جيل يخرج منه من يكون صلاحا لدينه وليس مأخوذا عليه.

الفصل السادس- البيئة والمناخ

كان من الضروري الإفاضة في الحديث عن المناخ المحيط بصلاح الدين الأيوبي لإيضاح كيف أن ذلك المناخ كان خير معين له على التحلي بالصفات الحميدة ومن ضمنها حب العطاء بسخاء، والذي اكتسبه نتيجة لقربه من جمال الدين الأصفهاني، ذلك الرجل الجواد. ولذا، فليكن كل من جمال الدين وصلاح الدين قدوة لنا في

الإقبال على التصدق على فقراء المسلمين، والإتيان بأعمال خيرية وأوقاف للمسلمين. ولا يشترط أن تقتصر المشاركة في أعمال الخير على التبرع بالمال، وإنما يتقبل الله سبحانه وتعالى أي عمل مخلص يساهم في إصلاح أحوال الأمة الإسلامية. وعلى سبيل المثال وليس الحصر، من الممكن قضاء بعض الوقت في زيارة دور الأيتام والاشتراك في رعايتهم سواء بالتعليم أو التوجيه أو العطف عليهم.

الفصل السابع- نور الدين محمود

في هذا الموضع، لا أجد ما أختم به هذا الفصل خيراً من توجيه الدعوة لكل مسلم ومسلمة إلى الإقبال على قيام الليل. فإذا حل المساء وجاء وقت النوم، فما أتقى وأطيب أن يتوضأ الفرد منا ويصلى ما تيسر له من ركعات، طويلة كانت أو قصيرة، يملؤها الإخلاص والصفاء للمولى عز وجل. فإذا جاء العبد منا بيدين متضرعتين وقلب سليم، كان أهلا للرحمة والغفران والعفو والرضا من الله العلى القدير.

الفصل الثامن- نور الدين محمود وقيام الليل

وبعد أن عرضنا للربانية التي اتسمت بها شخصية نور الدين محمود، لا يسعني إلا أن أستوقف كل منا أمام نفسه ليتساءل إذا كان محتاجا لإدخال تغييرات جذرية في حياته أم لا. وبناء على ما جاء من تفصيل عن شخصية نور الدين محمود، أجدني شخصيا أتصاغر أمامها. وإذا وجد أغلبنا أنه لا يفعل كل ما ينادى به، فهذا أدعى بأن نقبل على إصلاح نفوسنا. ولذلك أدعوكم إلى إجراء استبيان شخصي مكون من مجموعة من الأسئلة للإجابة عليها بنعم أولا. والغرض هنا ليس معرفة أي منا لدقائق أمور شخص آخر، ولكن الهدف من ذلك الاستبيان هو محاسبة النفس،

وليكن ذلك مثلا قبل الخلود إلى النوم في نهاية اليوم، وبعد الفراغ من كل ما يشغل المرء من أنشطة يومية. وعند الانتهاء من هذا الاستقراء، فليحكم إذن كل واحد على نفسه من خلال النتيجة التي يكون قد توصل إليها، هل هي سليمة أم أن هناك أموراً سلبية تحتاج إلى تغيير.

وأول ما يسأل الإنسان نفسه عنه هو رضاها من عدمه عن علاقته بربه جل شأنه. وهل هو يحاول دائما أن يحسن تلك العلاقة الأسمى والأهم منذ الميلاد وحتى الموت أم لا؟

أما السؤال الثاني فهو يتعلق بالرضا أو عدمه عما قدم الشخص لحياته. بعد تلك الفترة التي عاشها من عمره، هل لديه شعور بالرضا والسعادة بأسلوبه وسلوكه في الحياة؟هل هو راض عن علاقته مع زوجته؟ عن تربيته لأبنائه؟ عن عمله؟ أم أنه لم يصل إلى هذه المرحلة بعد؟

والسؤال الثالث هو بخصوص تقبل الفرد للنقد الموجه له، بصرف النظر عن الشخص الذي يوجه النقد.

أليس كل منا معرضا للخطأ؟ وبالتالي يحق عليه تقبل النقد الموضوعي الصادر عن الآخرين تجاهه. فهل فعلا الشخص يقبل نقد الآخرين له، أم أنه من النوع الذي يجد صعوبة في ذلك؟

ورابعا، يدور السؤال حول ما إذا كان الواحد منا لديه القدرة على استيعاب الاختلاف في وجهات النظر أم لا؟ هل يتقبل المرء أن يكون مَن حوله في المنزل أو العمل أو أي مجال آخر لهم أسلوب مختلف عن أسلوبه أم لا؟

والسؤال الخامس، هل اكتشف أحدنا في وقت من الأوقات أن أكثر من شخص يوجهون له النقد بخصوص سمة بعينها من سمات شخصيته؟ وإن حدث ذلك، فهل يقتنع الفرد بتلك السلبية؟ وهل يحاول فعلا التخلص منها أم لا؟

وسادسا، هل الهدف الرئيسي لكل منا في حياته واضح تماما له أم لا؟ هل المحيط الديني في وقت من الأوقات يستحثه على أن يكون هدفه الفوز بالجنة، ثم سرعان ما يتبدل هذا الهدف عند التواجد في بيئة مختلفة، فيصبح الهدف تربية الأولاد وتخريجهم من الجامعة، أو السعي إلى السلطة؟

وأخيرا، هناك نوع من الحث يقدم في صيغة سؤال معروف إجابته مسبقا، ويكمن في رغبة الفرد أو عدمها في أن يكون أكثر نجاحا في الحياة. فالإجابة المنطقية هنا إنما هي دعوة للتغيير للأفضل.

فالمطلوب إذن أن يجاوب كل منا على تلك الأسئلة حتى يمكن التوصل من خلال فصول الكتاب القادمة إلى القيمة المفترض الخروج بها من هذا الاستبيان.

الفصل التاسع- مصر

وقبل الانتقال إلى الفصل القادم، هناك مهمة ملحة وذات طابع سامي يتمنى المسلم تحقيق أعلى الدرجات فيها، إلا وهى إحياء سنن رسول الله ﷺ في أنفسنا. فليحاول كل منا أن يلتزم بصفة من الصفات، أو فعل من الأفعال، أو قول من الأقوال، الصادرة عن خاتم الأنبياء والمرسلين. فإذا ما صدقت نية المرء في التغيير للأحسن، أقبل على الزيادة المتدرجة من محاكاته لصفات وأفعال وأقوال النبي الكريم.

الفصل العاشر- نقطة تحول

ولا أحسن من أن نختم هذا الفصل بدعوة إلى أن يحدد كل منا هدفه في الحياة، فلا يجوز للمسلم أن يعيش سني عمره بلا هدف. فليكتب كل منا إذن أولويات أهدافه ويحولها إلى مشاريع تتكون من خطوات يتعين تنفيذها. وعلى سبيل المثال، كلنا يريد دخول الجنة، فليحدد كل فرد فينا الخطوات التي سوف ينفذها حتى يجرؤ

على طلب الجنة من الله سبحانه وتعالى. وهذا هو ما كان أسد الدين شيركوه يفعله، إذ كانت مهمته في الحياة فتح مصر. وبالفعل، ما أن تفتح مصر إلا أن يموت أسد الدين شيركوه ويتسلم صلاح الدين الراية من بعده.

الفصل الحادي عشر - وزير مصر

لقد تصدى صلاح الدين الأيوبي في تلك الفترة لأوجه عديدة من الضلال والضياع. ولكن الأمر الذي يدعو للتفاؤل هو أن المجتمع نفسه كان راغبا في التخلص من السلبيات بكافة أشكالها. ولذلك، فالمطلوب من كل فرد أن يسعى لمحاربة أي صورة من صور الفساد أو التقصير المنتشرة في أوجه الحياة العامة. فلنتخذ من صلاح الدين الأيوبي مثالا للإيجابية والتفاعل الحسن مع السلبيات، إذ أنه لم يهرب إلى الشام تاركا وراءه كل هموم الشعب المصري، وإنما تصدى لها بكل حسم حتى نصره الله نصرا مبينا.